# السرقة

كان عمري ثماني سنوات، وكنا في أمريكا مع والدي في بعثته، كان كل شيء مبهرًا بالنسبة لي. لم يكن في مصر وقتها سوبر ماركت ولا مول ولا مطاعم الوجبات السريعة ولا كاتشب ولا مسطردة ولا توابل السلطات، لم يكن هناك أي شيء مما رأيت هناك! كان أهلي من متوسطي الدخل ولم يكن من أولوياتهم الصرف على العرائس والملابس وغيرها من الأشياء التي اشتهتها نفسي. في المول الكبير، كان مسموحًا للأهل أن يتركوا أطفالهم في قسم الألعاب وحدهم في أمان تام حتى ينتهوا من شراء احتياجاتهم.

كانت العروسة باربي هي أحدث صيحة، ورفض أهلي رفضًا قاطعًا أن يشتروا لي ولو عروسة باربي واحدة. شعرت بالغضب ولم أدرِ بنفسي إلا وأنا أخرب كل عروسة باربي ألعب بها في قسم الألعاب في المول. مرة أقطع فستانها ومرة ألبك شعرها ومرة أشوه وجهها بالألوان. لم أكن أعلم أن المكان مراقب بالكاميرات. في مرة، دخلت أنا وأخي المكان كعادتنا، واتجهت أنا إلى ركن عرائس الباربي فوجدت ضابطة أمن في انتظاري. لم تقل شيئًا. لم أقل شيئًا. لكنني عرفت أن سلوكي غير مرغوب فيه. لعبت في هدوء. لم أدخل هذا الركن مرة أخرى.

في مرة أخرى، كنت مع أبي في سوبر ماركت قريب من بيتنا في أمريكا، وكنت أقف معه في طابور دفع الحساب حين رأيت إصبع زبدة كاكاو مرسوم عليه فاكهة الكريز الحمراء. شعرت برغبة عارمة في أن أشمه وأتذوقه. شعرت أنني أريد أن أقتنيه! أريده لي! لم أطلب من أبي لأنني أعرف أنه سيرفض! كنت متأكدة أنه سيرفض! مددت يدي نحو العلبة وتركتها هناك وكأنني أستند عليها. في هدوء، سحبت إصبع واحد وخبأته في يدي. انتظرت حتى تأكدت أن لا أحد يراني. سحبت يدي القابضة على الإصبع الشهي ووضعتها في جيبي حتى عدت للمنزل.

لم أسرق أو أخرب مرة أخرى. مع الوقت أصبحت قدرتي على التحكم بنزعاتي أقوى، وأصبحت بوصلتي الأخلاقية أكثر دقة. أفكر كثيرًا في هاتين الواقعتين! ماذا كان سيحدث لي إن عاقبتني ضابطة الأمن في المول؟ ماذا كان سيحدث لي إذا اكتشف أحدهم سرقتي للإصبع الشهي؟ كيف كانوا سيتعاملون معي؟ هل كنت سأوصم بالسرقة؟ هل كانوا سيقطعون يدي؟ ماذا تفعلون عندما تكتشفون أن طفلكم سارق؟

هل يمكن لطفل أقل من أربعة أعوام أن يميز بكل وضوح الفرق بين ما هو «مِلكي» وما هو «مِلكك»؟ نظريًّا يعرف الطفل ما هو ملكه وما هو ملك غيره، ولكن فعليًّا، منطق الطفل يقول إنها «إذا وصلت لها يدي فهي ملكي وإذا كانت معي في ملكي وإذا كانت في جيبي فهي ملكي».

هل يمكن لطفل أقل من ست سنوات السيطرة على رغباته ونزعاته؟

الإجابة أيضًا لا! الطفل أقل من 3 سنوات غير قادر نهائيًّا على كبح جماح نفسه على أي مستوى. إذا أراد شيئًا، فهو يريده الآن وفورًا بغض النظر عن حسابات الكبار مثل التوقيت أو الملكية أو المشاعر أو الآداب العامة. أما الطفل ما بين ثلاثة وستة أعوام، فهو دائمًا في حالة جهاد مع النفس وأحيانًا ينجح وأحيانًا يفشل، وهذا طبيعي بحكم سنه وقدراته.

هل الطفل بعد السابعة يفهم السرقة؟

الطفل يبدأ في فهم الصواب والخطأ ويفهم الملكية وقواعدها ما بين الخامسة والسابعة ولكن هذا الفهم لا يعني التطبيق. يخلط الطفل بين السرقة والاستعارة مثلًا. قد يعجب الطفل

بلعبة ما ويأخذها وعندما تسأله عن صاحب اللعبة وتتهمه بالسرقة يقول إنه استعارها! رغم تطور قدرة الطفل على التحكم بنزعاته ورغباته، فإنه لم يتمكن من السيطرة الكاملة على نفسه أمام المغريات!

لا ترتكب هذه الجرائم بحق طفلك «السارق»

* لا تضربه! لا تنهره! لا تصفه بالسارق!
* لا تجبره على إرجاع ما سرق (البديل في القائمة التالية).
* لا تجبره على الاعتذار (الأسباب سيتم شرحها).
* لا تفضحه أمام باقي العائلة أو أصدقائه.

ماذا تفعل؟

* اسأل الطفل ما هذا؟

هدف السؤال هو لفت انتباهه للشيء نفسه لأن الكثير من الأطفال يأخذون الأشياء بدون وعي منهم.

* اسأل طفلك أين وجدته؟

هدف السؤال هو فهم منطق الطفل. الكثير من الأطفال يعتقدون أن ما وجدوه على الأرض مكسب لهم ويمكنهم أخذه أو أن ما وجدوه بدون حارس أو صاحب مباشر لا صاحب له.

* اسأل طفلك عمن يظن يملك هذا الشيء؟

الهدف من هذا السؤال هو تبسيط مفهوم الملكية. هل مالكه طفل آخر؟ هل مالكه شخص بالغ؟ هل مالكه المدرسة؟ هل هو ملك البقال؟

إذا تعذر على الطفل الإجابة أو إذا قال إنه ملكه اسأله السؤال التالي

* اسأل طفلك عمن يظنه دفع ثمن هذا الشيء؟

وساعده على تخمين الاحتمالات.

* اسأل طفلك: كيف يشعر فلان الآن وهو بدون كذا أو مفتقد كذا أو يبحث عن كذا؟

الهدف أن يشعر الطفل بتأثير تصرفه على المالك الأصلي لهذا الشيء. يشعر الطفل بما تسبب فيه من ألم أو حزن أو بكاء لشخص آخر.

هذه هي مشاعر الندم الحقيقية وليست الاعتذار بالغصب الذي لا يعنيه الطفل ولا يتعلم منه شيئًا سوى أنك تريد إذلاله.

* اسأل طفلك: كيف يمكن أن نساعد فلانًا (صاحب الشيء) حتى لا يحزن؟

يجب أن تكون فكرة إرجاع الشيء المسروق لصاحبه فكرة الطفل ونابعة من فهمه للموقف وشعوره بالندم الحقيقي. يجب أن يفكر الطفل في كيفية إصلاح ما أفسده.

طمئن طفلك أن فلانًا سيفرح بعودة ما فقد وأكد لطفلك أنه طفل محترم ومهذب وأمين.

لا تكرر كلمة سارق أو سرقة ولكن فهم طفلك المزيد عن قيم الأمانة والصدق.

* اعرض على طفلك الدعم المعنوي

هل تود أن آتي معك؟ هل تحتاجني معك؟ لا تخف، سأكون معك. لا تخف، أنت تفعل الصواب.

بصورة عامة، يسرق الطفل لأنه لم يدرك بعد حدود الملكية، أو لأنه بطبعه متهور متسرع، أو لأنه غير قادر على السيطرة على رغباته، أو لأنه غاضب، أو لأنه يشعر بالدونية، أو لأنه لا يشعر بالحب والدفء والأمان، أو بسبب القسوة، أو لأنه رآك تأخذ ما ليس لك بكل أريحية. يسرق الطفل لكل هذه الأسباب أو بعضها – في جميع الأحوال تذكر أن كسر طفلك لن يعلمه ألا يسرق!